SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Research

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

العدد 2، المجلد 2،نيسان 2016م.

e-ISSN 2289-9073

دور السنة النبوية المشرفة في صناعة الإبداع والتميز

نجم عبد الرحمن خلف

ساجدة حلمي سمارة

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ماليزيا

sajedah@usim.edu.my

1437هـ – 2016م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 9/2/2016
Received in revised form 20/2/2016
Accepted 25/3/2016
Available online 15/4/2016

ABSTRACT

Allah (swt) has sent His Prophet Muhammad (saw) to produce a divine and a distinguished Ummah, which He named a "moderate nation". In another place, Allah (swt) describes it "the best nation": "You are the best nation produced [as an example] for mankind. You enjoin what is right and forbid what is wrong and believe in Allah. If only the People of the Scripture had believed, it would have been better for them. Among them are believers, but most of them are defiantly disobedient." It is also the Ummah of the "straight path." The path which balances between materiality and spirit, life and hereafter, mind and revelation, perfection and reality, individualism and collectivism, freedom and responsibility and creativity and pious. On such bases, a unique and universal civilization was founded. The Islamic civilization, which was dominant over other nations for decades, quoting from previous civilizations with modification and additions and innovating in the field of religion and life, combines between divine and humanity, science and religion and progression and morals.

As for nowadays, Muslims should be a continuity of the Prophetic method in calling for knowledge and learning, idealism and innovation and transparency and advancement. Alike the movement of Hadith, which was a mercy and a pleasantness to humanity. It came with respect to other religions and maintained individuals' dignity, unlike contemporary civilizations, which constructed buildings but dishonored humans and excluded religion, even though it spoke loudly or accepted by many.

الملخص

إنَّ الله بعث رسوله الكريم، ليصنع به أمةً ربانيةً متميزةً، سمَّاها الله {أُمَّةً وَسَطاً}[1] ، {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}[2] {خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[3] وهي أمة "الصراط المستقيم"، صراط التوازن والتكامل بين المادة والروح، بين الدنيا والآخرة، بين العقل والوحي، بين المثالية والواقعية، بين الفردية والجماعية، بين الحرية والمسؤولية، بين الإبداع المادي والالتزام الإيماني، فقامت على أساس هذه التعاليم حضارة عالمية فَذَّة، جمعت بين الربانية والإنسانية، بين العلم والإيمان، بين الرقي والأخلاق، هي الحضارة الإسلامية التي سادت العالم قروناً، واقتبست من حضارات الأقدمين، وَهذَّبتها وأضافت إليها، وابتكرت الجديد المفيد في علوم الدين ومعارف الدنيا.

فلا بد لنا أن نكون اليوم امتداداً للمنهجية النّبوية في الدعوة إلى العلم والتعلم، والتمييز والابتكار، والنقاء والارتقاء، وكما صنعت السنة المشرفة الطليعة المبدعة التي سُعدت بها الإنسانية، فاختزلت الزمان والمكان واحترمت الأديان، وصانت كرامة الإنسان، خلافاً للحضارة المعاصرة، التي أقامت العمران، إلا أنها أهانت الإنسان، وأقصت الأديان، وإن علا صوتها ولمع بريقها في الأرض والأنفس والأفاق.

ومن التوجيهات النبوية في الحرص على أن يكون المسلم مبدعاً متميزاً، قوله – صلى الله عليه وسلم –: "أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن , وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة."[4]

(1) القرآن الكريم، سورة البقرة 2 :143

(2) القرآن الكريم، سورة آل عمران 3 :110

(3) القرآن الكريم، سورة آل عمران3 :110

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)في "الأدب المفرد"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت،الطبعة: الثالثة، 1409 - 1989 ، باب أحب الأسماء إلى الله عزوجل،ج1: ص437، وأبو داود أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجِسْتاني، سنن أبي داود: تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، باب في تغيير الأسماء، ج4:ص287، والترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ، 1998م في " الجامع الكبير – سنن الترمذي " تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، باب ماجاء مايستحب من الأسماء،ج4، ص429

المقدمة

قال ابن مسعود وهو يوجه الجيل المسلم: " لا تكونوا إمعة تقولون : إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا "[5].

والمتابع لحركة الإبداع الإسلامية يجد أنها لم تخمد جذوتها، ولم تسكن حركتها بتغير الأحوال أو تبدل الأيام أو تعاقب النوائب. ومن أول ما يشهد لذلك هو أن كثيراً من تراثنا قد بقي موفوراً يملأ الخزائن العامة والخاصة إلى عهدٍ قريب، وأن ما ضاع منه بسبب غفلة الناس وتفريطهم أكثر مما ضاع بسبب عوادي الحروب والأيام، ولا زالت الأيام تظهرنا على مخطوطات نفيسة كنا نعدها من المفقودات. وكم في الزوايا من خبايا. ولكي يعلم القارئ قدر العطاء العلمي الذي خلفه لنا سلفنا عليهم رحمة الله فليراجع ما أُلّف من كتبٍ للفهرسة ككتاب (الفهرست) لابن النديم، أو (فهرسة ابن خير الأشبيلي الأندلسي) أو (كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون) لحاجي خليفة؛ وهو من أنفع وأجمع ما كُتب في موضوعه، وذيله "ايضاح الكنون في الذيل على كشف الظنون" لإسماعيل باشا البغدادي أو (خزائن الكتب العربية في الخافقين) للفيكونت فيليب دي طرّازي؛ وقد أحصى في هذا الكتاب عدد المكتبات العربية في العالم فبلغت نحو (1500 مكتبة) يُقدر ما فيها من كتبٍ عربية بنحو (262) مليون مجلد ما بين مخطوطٍ ومطبوع.

عناية الإسلام بالعلم وتشجيع العلماء

لقد رفع الإسلام الحنيف من قدر العلم والعلماء، وحث على طلب العلم، ثم إن معجزته كتاب، وهو القرآن الكريم، ومن آياته (اقرأ باسم ربك). ونحن العرب والمسلمين أهل أصالة في العلم، قدنا الإنسانية مرة نحو المجد والقوة بفضل نفر كريم من العلماء العرب والمسلمين، حملوا المشاعل وأضاءوا دياجير الجهل، في الوقت الذي كانت أوروبا غارقة في ظلماته ، لعلنا من الناحية العلمية أغنى الأمم تراثا، وقد تعاقبت علينا حضارات تمثلنها ورعيناها، وقمنا بذلك الواجب العلمي والإنساني نحو البشرية كلها. لقد كانت اللغة العربية في يوماً ما هي اللغة العلمية العالمية، وأنها كانت تحتكر المؤلفات العلمية، لا تكاد تنشر إلا بها، نعم لقد كانت العربية يوماً هي اللغة الدولية في هذا الميدان.

(5) الترمذي، السنن، وقال: هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ج3، ص: 432

وأن الحضارة الغربية الحديثة لمدينة للحضارة العربية الإسلامية وهي في أزهى عصورها بالإسهامات القوية في تطوير الفكر الغربي عن طريق ما بذله الأوربيين في العصور الوسطى من ترجمة في اللغة العربية للغات الأوروبية المختلفة وما نهلوه من معرفة وعلم في مراكز الإشعاع للحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى.[6]

لقد رسم الإسلام الخطوط الرئيسية لحل جميع المشاكل البشرية في كل زمان ومكان، والتقدم العلمي الذي حققه المسلمون على مر العصور التي مرت بها الأمة الإسلامية إبان قوتها، بسبب الإيحاءات التي يستمدها المسلمون من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لأن المسلم يستلهم الأوامر والنواهي من القرآن.

ولقد تطرق القرآن لتشجيع العلم والعلماء في كل مجالات الحياة، مما يحتاجه الفرد والجماعة سواء في الدنيا أو في الآخرة فلا غرابة أن نجد سائر الآيات والأحاديث تمجد العلم والعلماء وتثنى على العقل والفكر والتدبر، لذلك كثرت في القرآن الدعوات إلى التعقل والتنويه بالتفكير، والإشادة بالتدبر ولوم الغافلين والجهال والسخرية ممن لا يفكرون .

حيث أشاد الله سبحانه بالعلم والعلماء حيث قال: " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون، إنما يتذكر أولو الأباب"[7] كما رفع من قيمتهم فقال سبحانه:" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"[8].

وليست هذه الإشادة مقصورة على نوع معين من العلم، وليس التفكير الذي يحض عليه القرآن الكريم محصوراً في نطاق من المعرفة المحددة، فالعلم الذي ينوه به القرآن الكريم عام، يشمل جميع العلوم من فقه، وتفسير، وحديث، وطب، وفلك، ورياضة،وهندسة، واجتماع، إلى غير ذلك مما تحتاجه الأمة الإسلامية لشؤون الدين والدنيا، وإن تفاوت قدر الأجر والثواب فيها .

ولا غرابة في عناية القرآن الكريم بالعلم والفكر، لأن العقول هبة من الله تعالى ينميها التفكير، ويغذيها العلم ويرقيها إستخدامها فيما خلقت له، لتهدي إلى الحق والخير ولتدفع إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى، وقدرته وحكمته، ولتمكن للناس أن يستفيدوا مما سخر الله لهم وقد حث الله جل جلاله على العلم، ويسر أسبابه وهي:

1-القـراءة .

2- النظر والتأمل

(6) د/ مسلم شلتوت، الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى والتحدي المعاصر

(7) القرآن الكريم، سورة الزمر، : 9

(8) القرآن الكريم، سورة المجادلة،: 11

3- السير في الأرض[9]

ففي "القراءة" نجد سورة "اقرأ" وكذلك قوله تعال(والْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)[10].

أما في "الحث على النظر والتأمل" فيقول سبحانه وتعالى: (أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)[11].

أما في "الحث على السير في الأرض" فيقول الله سبحانه وتعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)[12].

الإبداع الحضاري والعلمي عند المسلمين وأثره في الحضارات الأخرى

إن الحضارة الاسلامية قامت على الحوار مع الشعوب والحضارات الاخرى التي تعامل معها المسلمون مثل حضارة الهند وحضارة الفرس في الشرق وحضارة اليونان في الغرب، وقد كان فضل العلماء العرب عظيما على الحضارة الانسانية، حيث كانوا لبنة اساسية من لبناتها، فقد نقلوا العلم اليوناني واستوعبوه وأضافوا إليه إبداعاتهم التي مازالت مؤثرة في العالم حتى اليوم، ويرتكز بناء الحضارة الإسلامية على ثلاثة مصادر:

1- المصدر السماوي الذي من الله تعالى علينا به، المتمثل بكتابه الخالد العظيم القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة التي لا تنطق عن الهوى، وهذان هما المصدران الرئيسان لأمة الإسلام اللذان اختصنا الله تعالى بهما، وميزنا ببركة ما فيهما من النور والعلم عن سائر الأمم. ثم عكف علماؤنا في كل فن على فهم الوحيين، وقاموا بواجب البيان والشرح، والتقعيد والتأصيل، والاستنباط والتأويل، وقد خلفوا لنا من وراء ذلك ثروة علمية هائلة في كمها وكيفها.

(9) د/ فهد العصيمي، فضل الإسلام والمسلمين في التقدم العلمي، ص5

(10) القرآن الكريم، سورة القلم، : 1

(11) القرآن الكريم،سورة الغاشية :17- 20.

(12) القرآن الكريم، سورة الحج 269.

2- المصدر النقلي مما قمنا بترجمته من حضارات الأمم السابقة، وقد كنا أمناء في ترجمة هذه العلوم ومصادرها، ننسب كل كتاب وفائدة لأصحابها بكامل الدقة مع حفظ الحقوق، ولم يقف علماؤنا عند الترجمة، وإنما ضموا إلى هذا المجهود العلمي عملية المدارسة والتأمل والتصويب والإضافة.

3- المصدر الثالث قام على منهجية الابتكار والتجريب، مع الاستقراء والسبر، والاستنباط والاستخراج والتفسير والتعليل، والقياس. وقد فعل أئمتنا جميع هذه الوسائل العلمية والفكرية وأبدعوا فيها غاية الإبداع.

- أما ما يتعلق بالوحيين؛ فإن العلوم الإسلامية:

1- إما منزلة من الله تعالى على رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم للناس أجمعين بالنصوص الصريحة.

2- وإما توجيهات وبيانات واضحات وتفصيلات من الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم.

3- وإما اجتهادات علمية استنباطية من فقهاء الأمة وعلمائها في فهم النصوص الوحيين مع توضيح المراد منها.

- وأما علوم اللغة العربية فقد كانت كلها من أعمال علماء المسلمين، واستنباطاتهم وتصنيفاتهم وإبداعاتهم، وقد قامت على:

1- الاستقراء التام لهذه العلوم للبناء عليها، واستخراج القواعد والقوانين منها.

2- السبر والاستقراء والغوص العميق لإدراك المرامي والمقاصد من وراء هذه النصوص، وتركيباتها واستعمالاتها؛ وذلك لاستنباط واستخراج هذه القواعد.

3- محاولة تفسير وتعليل هذه الظواهر اللغوية.

4- الاعتناء بقياس الأشباه والنظائر بعضها على بعض.

- وأما العلوم البحتة العقلية والكونية والطبيعية وما يلتحق بها، فقد كانت أعمال العلماء المسلمين فيها مبنية على جملة من الوسائل، من أهمها:

1- اعتماد المفاهيم الإسلامية فيها، المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا سيما إذا كانت نصوص الوحيين قد دلت على قواطع بشأن أي أمر منها، أو ظنون قد ترجحت فيها.

2- الاجتهاد في عملية البحث والتأمل استجابة لأمر الله لهم للنظر في جميع الظواهر الكونية بغية التعرف على سنن الله وقوانينه، التي أتقن بها صنع كل شيء في هذا الكون.

3- اعتماد المنهج التجريبي مع ملاحظة النتائج وتدوينها.

4- الاقتباس من علوم وحضارات الأمم السابقة لبعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، واعتماد ما كان منها حقًّا واضحاً، أو صالحًا لحياة الناس. مع اجتناب الخرافات والخزعبلات، والأوهام والأساطير التي امتلأت بها حياتهم وآثارهم، في مجالات كثيرة.

5- ما توصل إليه علماء المسلمين بتأملاتهم، وبحوثهم، وابتكاراتهم العلمية، وتجاربهم العملية، فهي من إضافاتهم الحضارية، وسبقهم العلمي المتميز.

إزدهار الحضارة الإسلامية وتخلف الأوروبية

"كان للفتوحات الإسلامية الأثر البعيد في البلاد التي دخلت تحت لواء الإسلام، وظهر هذا الأثر بوضوح في شمال أفريقيا، إذ تحول مصر بأكملها من الحضارة اللاتينية إلى الحضارة العربية. إن أثر العرب والإسلام في تاريخ العصور الوسطى لا يقف عند حدّ التغييرات السياسية التي أحدثوها في أوضاع العالم المعروف، بل يبدو هذا الأثر أشد ما يكون وضوحًا في الميدان الحضاري، كما إن العرب لم يغرقوا في نشاطهم الحضاري بين المسلمين وغير المسلمين بل سمحوا للنصارى واليهود بالتتلمذ عليهم والاستفادة منهم، فأقبل الأوربيون في الأندلس وصقلية، والآسيويون في الشام وغيرها، على دراسة المعارف الإسلامية وترجمتها، مما ساعد على نهضة أوروبا في العصور الوسطى"[(13)].

ولقد كان واقع حال أوروبا والغرب كله في فترة ازدهار حضارة أمة الإسلام حالة متخلفة مزرية، ففي الوقت الذي أخذ المسلمون يبنون حضارتهم بهدي من توجيهات الإسلام، من خلال آيات القرآن الكريم، وبيانات الرسول العظيم القولية والفعلية، وتوجهت أنظارهم لإصلاح أهل الأرض، ودعوة الناس إلى صراط الإسلام المستقيم، فانطلقوا شرقًا وغربًا وشمالا وجنوبا فاتحين مهذبين معلمين فضائل الأخلاق ومحاسن الشيم، وعاملين بتعاليم الإسلام.

(13) د/ عماد الدين خليل،1412هـ، 1992م، قالوا عن الإسلام ،الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط1، ،ص 278 ، إبراهيم خليل أحمد ، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص 205

وفي انطلاقتهم أخذوا يعلمون الناس ما هداهم إليه إسلامهم من حضارة فكرية اعتقادية، وحضارة سلوكية فردية وأسرية واجتماعية، كما حرصوا – باعتبارهم مستخلفين في الأرض – على بناء حضارة مادية تنشد الخير، وتقاوم الشر والفساد، مؤمنين بأن الله عز وجل سخر الكون للناس لينتفعوا بما فيه من خيرات وطاقات على كل صعيد، ضمن قواعد الحق والفضيلة والجمال، ومؤمنين بأن الله تعالى سيمكنهم إذا هم استعملوا طريق البحث والتنقيب، والتأمل العميق، وإجراء التجارب العملية من التوصل إلى مفاتيح الكون، وطاقاته الخفية، والتعرف على مساربه، وأن يكونوا دائما في ارتقاء حضاري، سباقين إلى كل فضيلة وعلم، حريصين امتلاك القوى والطاقات " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (14) وحين انطلق المسلمون في هذه الميادين العلمية والعملية، كانت الشعوب الأوروبية، والشعوب العربية قاطبة، في جهل مطبق وأمية متفشية في القسم الأعظم منهم، وتخلف حضاري في الفكر، وفي السلوك الفردي والاجتماعي والسياسي والتربوي، وفي مختلف مجالات العلوم. وبينما كان كثير من علمائنا المسلمين يتوجهون باهتمام بالغ لدراسة العلوم البحتة الرياضية والعقلية والطبية والطبيعية، ويبحثون في الظواهر الكونية من حولهم عن العلل والأسباب، بغية اكتشاف سنن الله وقوانينه في الكون، واستخراج ما أودعه سبحانه من طاقات وامكانات في خباياه، كان رجال الكنيسة و قادتها في أرجاء الأرض يحاربون كل من يأتي بنظرية أو حقيقة علمية تخالف تعليماتهم التي درجوا عليها، حتى ولو كانت من الخرافات والأساطير، وربما كانت عقوبة من يخالف الحرق بالنار لهرطقته وأفكاره المخالفة لتعليماتهم.

مع أن تعليماتهم أوضاعهم هذه ما هي إلا من الأساطير التي أخذوها عن أهل القرون الماضية، وليست من دين الله الصحيح الذي أنزله على أنبيائه ورسله.

ولما كان الإسلام دين النظافة والنقاء المادي والمعنوي فقد أوجب عل المسلمين أن يتوضؤوا لصلواتهم، وأن يغتسلوا اغتسالات واجبة، واغتسالات مندوبة، وأمرهم بالاستنجاء والاستجمار إذا لم يجدوا الماء، وأن يتحرزوا من النجاسات والقاذورات، ويسارعوا إلى إزالتها عن أجسامهم وثيابهم وأماكنهم وجميع أشيائهم إذا وقعت عليها النجاسات أو لامستها، بينما كان الناس في أوربا وفي البلاد الغربية عامة، لا يعرفون شيئًا عن الطهارة وإزالة النجاسات من الأبدان والثياب والأمكنة والأدوات، ولا يعرفون الاستنجاء بالماء حتى رأوا المسلمين يفعلون ذلك، وقد استمروا في ذلك حتى اكتشف

(14) القرآن الكريم،سورة النحل16: 78

علماؤهم الجراثيم والأوبئة والميكروبات، ورأوا أن النجاسات والقاذورات هي أعظم البؤر الحاملة لها، وأنها تسبب الأمراض والعلل والأوجاع والأوبئة الخطيرة.

ولا شك أن الطهارة والعناية بها من أجلى مظاهر الحضارة البشرية، فكيف إذا ضممنا إليها الطهارة المعنوية من تزكية النفس، وتخليتها من الآفات والعلل النفسية، فإن هذا الدين قد حرص عل نقاء الظاهر والباطن.

قال الأستاذ عباس محمود العقاد في معرض حديثه عن أثر الحضارة الإسلامية في نهضة الغرب في كتابه: "وقد أصاب "أبانيز" حين قال: إن عصر النهضة مدين للحضارة الأندلسية قبل الحضارة الإيطالية التي أعقبتها؛ لأن عصر النهضة لم يكن عصر تجديد للفنون الإغريقية القديمة ولا مزيد على ذلك من عنده، ولكنه كان عصر تجديد في الحياة العملية والمرافق الصناعية والتجارية، وفهم مستحدث للعقيدة وللعالم، وللعلاقات بين الحاكمين والمحكومين، أو كان عصر معيشة جديدة تناولت بالتبديل والتعديل طبقات الشعوب من العلية إلى السواد، وذلك أولى أن يأتي من القدوة الشعبية في جميع الشئون العملية بعد اتصال المعاشرة بين حضارة العرب –يعني: المسلمين– وأبناء أوروبة الغربية عدة قرون."[15]

شهادات الغرب على تطور المسلمين وإبداعهم

لقد جاءت النهضة بعد عهد الحضارة الأندلسية، وجاء الإصلاح الديني بعد النهضة، وجاءت الحرية السياسية بعد الإصلاح، فليس في وسع المتعصبين منهم أن يقطعوا الصلة بين الحركة الأولى وما تلاها، مع هذا التلازم في الزمان والأسباب.

يقول "سارتون": "حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر في القرون الوسطى، فكتبت أعظم المؤلفات قيمة، وأكثرها أصالة، وأغزرها مادة باللغة العربية. وكانت من منتصف القرن الثامن– أي الميلادي – حتى نهاية القرن الحادي عشر لغة العلم الارتقائية للجنس البشري، حتى لقد كان ينبغي لأي كان إذا أراد أن يلم بثقافة عصره، وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية. ولقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكلمين بها".[16]

(15) عباس محمود العقاد 2002 م "أثر العرب في الحضارة الأوروبية"، مصر: دار نهضة مصر، إشراف د/ سمير سرحان، طبعة خاصة ضمن مشروع مكتبة الأسرة، ص98

(16) جلال مظهر، 1967م، أثر العرب في الحضارة الأوروبية " نهاية عصور الظلام و تأسيس الحضارة الحديثة"، بيروت، منشورات الرائد، ص 170

ويقول "نيكلسون": "إن أعمال العرب – أي: المسلمين – العلمية اتصفت بالدقة وسعة الأفق. وقد استمد منها العلم الحديث –بكل ما تحمل هذه العبارة من معان– مقوماته بصورة أكثر فعالية مما نفترض." (17)

ويقول "سيديو""تكونت فيما بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر مجموعة من أكبر المعارف الثقافية في التاريخ، وظهرت منتوجات ومصنوعات متعددة، واختراعات ثمينة تشهد بالنشاط الذهبي المدهش في هذا العصر. وجميع ذلك تأثرت به أوروبا، بحيث يؤكد القول إن العرب "أي: المسلمين" كانوا أساتذتها في جميع فروع المعرفة، لقد حاولنا أن نقلل من شأن العرب "أي: المسلمين" (18) ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها من جميع الأرجاء. وليس من مفر أمامنا إلا أن نرد لهم ما يستحقون من عدل إن عاجلاً أو آجلاً"..

ويقول "جوستاف لوبون": "كان تأثير العرب "أي: المسلمين" في الغرب عظيمًا للغاية، فأوروبا مدينة للعرب – أي: المسلمين – بحضارتها. ونحن لا نستطيع أن ندرك تأثير العرب "أي: المسلمين" في الغرب إلا إذا تصورنا حالة أوروبا عندما أدخل العرب – أي: المسلمون – الحضارة إليها".

كما جاء في كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب": إن "جربرت" الذي ارتقى كرسي البابوية سنة "999م" قد تعلم الرياضيات والفلك على أيدي أساتذة من العرب في إسبانية، وأنه استمع إلى الأساتذة العرب، وتعلم أشياء لم يكن أحد في أوروبة ليحلم بأن يسمع بها، وكان من أهم ما تعلمه "جربرت" نظام الأرقام والأعداد العربية. وأنه حير بعلمه معاصريه، وأن قومه نظروا إليه كساحر، وكفنان غريب، ونسجوا حوله الإشاعات، حتى قيل: إنه كان يهرب ليلًا من الدير إلى إسبانية ليتعلم على أيدي العرب علم الفلك والفنون الأخرى." (19)

وقالت المستشرقة الألمانية "زيغريد فيه أيضًا: "فقد كان في مدينة قرطبة وحدها خمسون مستشفى في أواسط القرن العاشر الميلادي، فطغت بهذا العدد على مدينة "بغداد" عاصمة الدنيا آنذاك، ومضرب الأمثال في عصر الخليفة "هارون الرشيد" وكانت المستشفيات تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال، وتزود بماء حار للحمامات مد لها من نهر دجلة."(20)

---

(17) المرجع السابق، ص170

(18) جلال مظهر،"أثر العرب في الحضارة الأوروبية" ص170

(19) زيغريد هونكة، 1993م، شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوربة، نقل فاروق بيضون و كمال دسوقي مراجعة مارون عيسى الخوري،بيروت:دار الجيل،بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط8، ص80

(20) المرجع السابق،ص228-229.

وقالت المستشرقة الألمانية زيغريد: قبل 600 عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربي كبير.

ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم، وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب إجمالًا، فأقاموا له نصبًا في ساحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم، وعلقوا صورته وصورة عربي آخر في قاعة أخرى كبيرة تقع في شارع "سان جرمان" إنه أبو بكر محمد بن زكريا الرازي." (21)

كما قالت المستشرقة الألمانية زيغريد: "لم يكن الرازي ذلك الطبيب العظيم فحسب، بل كان أيضًا أحد الأوائل الذين جعلوا من الكيمياء علمًا صحيحًا".(22)

وقالت المستشرقة الألمانية زيغريد: "لقد انطلق الأوروبيون إلى مدن إسبانية، وخلجان إيطالية، بل إلى مدن المشرق؛ سعيًا وراء المعارف العربية. فاهتمام "فريدريك الأول" بعلم النجوم العربي، هو الذي حدا به إلى انتزاع "جيرارد" من قلب مدينته الوفية "كريمونا"1 وإرساله إلى إسبانيا، وقد أوصاه بمهمة جلب "المجسطي" لـ"بطليموس" – وهو أقدم كتاب في علم الفلك– من مدينة "طليطلة" وكان ذلك في الوقت الذي تغنى به القوم بشهرة "سالرنو" – مدينة إيطالية – المتفتحة تحت شمس المعرفة العربية. ولكنه ما إن وصل إلى هذه القلعة السابقة للفكر العربي – أي: المفكرين المسلمين – ورأى هذه الكنوز الفكرية العظيمة، التي ظهرت للأعين فيها حتى قرر البقاء هناك. وبقي مدة تزيد على العشرين سنة، جمع فيها أكثر من ثمانين مخطوطة بالإضافة إلى كتب "المجسطي" وعاد بها إلى موطنه "كريمونا".– مدينة إيطالية، قرب مدينة نابلي – وكانت هذه المخطوطات كنوزًا فكرية بحد ذاتها، وثمرات عظيمات قيمات وسافرات النضج."(23)

وقالت المستشرقة الألمانية زيغريد: "وتدفق سيل الترجمة تدفقًا متواصلًا لم يكن بوسع أحد أن يمنعه، وانطلق من إسبانيا، وصقلية، وشمالي إيطالية، فمن مدينة "بادوا" جاءت ترجمة "الكليات" لابن رشد، وترجمة كتاب "التيسير" لابن زهر، مرتين على التوالي. ومن "صقلية" جاءت ترجمة "الحاوي" أضخم كتاب للرازي، وقد أمضى اليهودي "ابن سليم" المتعلم في "سالرنو" نصف حياته في ترجمته. وظلت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية على أشدها حتى القرن السادس عشر الميلادي، وأضيفت أشياء جديدة لم تكن معروفة، وأعيدت ترجمة كتب أخرى مرة ثانية، ككتاب "القانون" لابن سينا، وكتاب "زاد المسافرين" لابن الجزار، وكتب أخرى للرازي، ولابن رشد. وبهذا انطلقت حركة فكرية جبارة لم يقدر أي من

(21) المرجع السابق، ص243-244

(22) المرجع السابق ص251.

(23) المرجع السابق، ص303

العلماء في القرون التي تلت إلا أن يتأثر بها".[24] وقالت المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه":"إن سيلًا عرمًا من نتاج الفكر العربي – أي: من نتاج المسلمين – ومواد الحقيقة والعلم وقد نقحته أيد عربية – أي: أيد مسلمة – ونظمته، وعرضته بشكل مثالي، قد اكتسح أوروبة –ولو في رداء ركيك من اللغة اللاتينية– وغمر أرضها الجافة عمرًا، فأشبعها كما يشبع الماء الرمال الظمأى. وبعد الموجة الأولى التي سمت بـ"سالرنو" إلى ذرى من الشهرة العالمية التي لا تضاهي، جاءت الموجة الثانية فبعثت الحياة النابضة في مدينة "مونبليه" الواقعة على مفترق الطرق بين إسبانيا وما تبقى من بلاد الغرب، وأمدت مدرسة "بولونية" الإيطالية، وجامعتها، بدفعات جديدات من الذخر العربي، وأعطت مواد الدراسة المثالية إلى "بادوا" و"باريس" و"أكسفورد". وفي مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء، إلا ومد يديه إلى الكنوز العربية هذه يغترف منها ما شاء الله له أن يغترف، وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذب؛ رغبة منه في سد الثغرات التي لديه، وفي الارتقاء إلى مستوى عصره العلمي. ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبة آنذاك إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية، وأخذ عنها ... وظهر فيه تأثيرها واضحًا كل الوضوح، ليس فقط في كلماته العربية المترجمة، بل في محتواه وأفكاره."[25] .

كما قالت المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه": "فمنذ مائتي سنة قدم العرب إلى صقلية من تونس، من المنطقة التي حول القيروان، وحولوا خرائب صقلية إلى حدائق غناء، واستوردوا لها من بلادهم أشجار النخيل، وزرعوا فيها أشجار البرتقال والفستق والموز والزعفران، فحولوا الجزيرة الفقيرة بالقطن وقصب السكر إلى بلد يزخر بالخيرات، وزينوها بالقصور والمساجد الرائعة التي كانت تعج بالشعراء والمغنين والفلاسفة والأطباء وعلماء الرياضة والطبيعة، ويُحصيها ابن حوقل – عام 970م – في "بالرمو" فقط بثلاثمائة ما بين قصر ومسجد. واستخدم المتعلمون في صقلية في كتاباتهم ورقًا أبيض كان أول ورقة عرفته أوروبة، وكان ذلك قبل أن تُصدره إسبانية إلى الغرب بزمن طويل." [26]

ومما يؤكد هذه الحقائق من اعترافات غربية منصفة ما جاء في كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" للمستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه" ما يأتي: "ولعل من أهم عوامل انتصارات العرب "أي: المسلمين" هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم، حتى إن الملك الفارس "كيروس. KYROS" نفسه قال: "إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين" فما يدعيه

(24) المرجع السابق، ص303-304.

(25) المرجع السابق، ص305-306.

(26) المرجع السابق، ص306.

بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية، إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاته مع الشعوب المغلوبة."

وتتبع المستشرقة "زيغريد" بيانها هذا بقولها: "والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عددًا ضئيلًا من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل العرب "أي: المسلمون". وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر، مما أتاح لحضارتهم أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف، ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إراداتها بالقوة"[27] .

وجاء فيه عقب بيانها الموسع عن اتجاه الإمبراطورية الرومانية لمحاربة البحث العلمي في الظواهر الطبيعية لاكتشاف قوانين الكون وسننه، وأن من الضلال البحث عن الحقيقة في غير الكتاب المقدس، والتفكير والتمحيص في أمور دنيوية، قولها: "وكان أكبر دليل مؤلم على هذا التفكير الغريب أعمدة الدخان، وألسنة اللهب التي اندلعت فوق الإسكندرية، كنز المعرفة الإغريقية على مر العصور، والتي أصبحت حينذاك مركزًا للكنيسة المسيحية إلى جانب روما. احمرت بنيراها فوق دلتا النيل، وأحرقت نفائس ثمينة لا تُعَوَّض، من الشعر، والأدب، والفلسفة، والتاريخ، والعلم، والثقافة الإغريقية. أحرقتها وأبادتها جموع من المسيحيين المتعصبين. لقد ذهب جزء هام من المكتبة قبل ذلك، عام "48ق. م" طعمة للنيران أثناء حصار "يوليوس قيصر"، ولكن "كليوباطرة" عوضت هذه الخسائر من مكتبة "برجامون Pergamon" وفي القرن الثالث الميلادي بدأت تبرز التخريبات المبيتة ضدها. فأغلق أحد البطاركة المسيحيين مدرسة متحف الإسكندرية، وطرد طلابها.

وفي أيام حكم القيصر "فالنس 336م Valens" حول المتحف إلى كنيسة، وسلبت مكتبته، وطورد فلاسفته بتهمة السحر والشعوذة. وفي عام "381م" استصدر البطريرك "تيوفيلس Theophilos" من القيصر "تيودوسيوس Theodosius" إذنًا بتخريب السرابيون، أكبر ما تبقى من الأكاديميات وآخرها، وإشعال النيران في مكتبته الثمينة. وبهذه الطريقة فقدت البشرية جزءًا هامًّا من ثقافتها لا يمكن تعويضه".

(27) المرجع السابق، ص357-358.

وقالت أيضًا:"وهكذا اختفت مراكز الحضارة الإغريقية واحدًا إثر واحد. وأُقفلت آخر مدرسة للفلسفة في آثنية عام "529م" وأحرقت في روما عام "600م" مكتبة البلاتين، وهدم ما تبقى من آثار أبنية القدماء. وعندما دخل العرب "أي: المسلمون" الإسكندرية عام "642م" مكتبة البلاتين، وهدم ما تبقى من آثار أبنية القدماء. لم يكن هناك منذ زمن طويل مكتبات عامة كبيرة. مستفيضة أنه مجرد اختلاق لا أساس له من الصحة.

إن "عمرو بن العاص" فاتح الإسكندرية، هو نفسه "عمرو" الذي ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحاته، وحرم النهب والسلب والتخريب على جنوده، وعمل ما كان غريبًا عن فهم الشرقيين القدماء والمسيحيين على السواء. لقد ضمن صراحة للمغلوبين حرية ممارسة شعائرهم الدينية المتوارة".(28)

وجاء فيه في معرض مقارنتها بين حث الإسلام على طلب العلم، واكتساب المعارف الدنيوية بالإضافة إلى المعرفة الدينية، وتخوف المسيحيين من المعارف الدنيوية قولها: "مفهومان مختلفان، بل عالمان منفصلان تمامًا، حددا بهذا طريقين متناقضين للعلم والفكر، في الشرق والغرب. وبهذا اتسعت الهوة بين الحضارة العربية "أي: الإسلامية" الشامخة، والمعرفة السطحية المعاصرة في أوروبا حيث لا قيمة لمعرفة الدنيا كلها". "أي: إبان ازدهار حضارة المسلمين".

وقولها بشأن رفض معلمي الكنيسة يومئذ فكرة كروية الأرض: "وأما ما يدعيه بعضهم من أن الأرض كروية فهو كفر وضلال، فمعلم الكنيسة "لاكتانتوس Lactanius" يتساءل مستنكرًا: "هل هذا من المعقول؟ أيعقل أن يُجن الناس إلى هذا الحد، فيدخل في عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض، وأن أقدام الناس تعلو رؤوسهم؟ لقد كانت الأرض بالنسبة إلى بعض الناس تلًّا تدور الشمس حوله ما بين الشروق والغروب، وبالنسبة إلى الآخرين مسطحًا تحيط به المحيطات. لقد قُضي بهذا التفكير الساذج على تطور العقل البشري في العصور السابقة، وعاد عصر الملاحظة البدائية والتفكير المشعوذ إلى الحياة من جديد. ملعون من يقتنع أو يقبل في ذلك العصر تفسيرًا علميًّا لحوادث الطبيعة. خارج عن طاعة الرب من يشرح أسبابًا طبيعية لبزوغ كوكب، أو فيضان نهر، بل من يعلل علميًّا شفاء قدم مكسورة، أو إجهاض امرأة، فتلك كلها عقوبات من الله، أو من الشيطان، أو هي معجزات أكبر من أن ندرك كنهها !!.

(28) المرجع السابق، ص362-363.

وإذا كانت القوى الدينية "أي: المسيحية" قد كسرت جهدها للهدف الديني. فإنها قد هبطت بالمعرفة الدنيوية، فابتعدت تمامًا عن الثقافة، والفكر الإغريقي، وانغمست في الخرافات والترهات التي لن نستطيع اليوم أن نتصور مدى انتشارها، وسيطرتها على العقول الساذجة. ولم تشمل هذه الحركة الرجعية العامة من الناس فحسب، بل إن المتعلمين أيضًا لم يكن لهم من زاد عقلي سوى بعض الأساطير المليئة بالخرافات المقتبسة أسوأ اقتباس عن اللاتينية البربرية، أو عن قصص الإغريق وأساطير الشرق القديمة. وما وصلت إليه الكنيسة وكهنتها في المجال الديني لم يكن عامل إنقاد للحضارة بل كان عائقًا لها. وظل الفكر الإغريقي بالنسبة إليهم غريبًا، فحوالي عام "300م" علل أسقف قيصرية "أوزيبوس Eusebius" ذلك المسلك لعلماء الطبيعة من "الإسكندرية" و"برجامون" قائلًا: إن موقفنا هذا ليس جهلًا بالأشياء التي تعطونها أنتم كل هذه القيمة، وإنما لاحتقارنا لهذه الأعمال التي لا فائدة منها، لهذا فإننا نشغل أنفسنا بالتفكير فيما هو أجدى وأنفع. ولقد كان الفكر الإغريقي يُمثل للمسيحيين شبحًا ملعونًا، فلم يقتربوا منه، بل حطموا جزءًا كبيرًا من تراثه، وحرموا منه البشرية.

ولقد كان الفكر الإغريقي يُمَثِّل للمسيحيين شبحًا ملعونًا، فلم يقتربوا منه، بل حطموا جزءًا كبيرًا من تراثه، وحرموا منه البشرية. حتى إن الغرب اضطر بعد صحوته أن يبدأ من جديد، على الرغم من أن الحضارات القديمة، والهيلينية على الخصوص، كانت قد وصلت في سالف أيامها إلى درجة كبيرة من الرقي. وعلى الرغم من هذا فقد بدا للسادة المهيمنين على الأمور ضرورة تحريم الكتب، التي تهتم بالأمور الحقيرة الدنيوية على المتعلمين ورجال الدين المسيحي. ففي عام "1206م" نبه مجمع رؤساء الكنائس المنعقد في باريس رجال الدين بشدة على عدم قراءة العلوم الطبيعية، واعتبر ذلك خطيئة لا تغتفر.

وقضى هذا التفكير الضيق على كل موهبة، وعاق كل بحث علمي، وأجبر كل المفكرين الذين لا تتفق أعمالهم ومعتقدات الكنيسة هذه، على إنكار ما قالوه من النظريات العلمية، وإلا كان مصيرهم الحرق العلني، بالنار، لكفرهم وخروجهم على المعتقدات الإلهية – بحسب زعمهم الفاسد –.

ومن هنا فقط يتضح لنا تمامًا لماذا احتاجت الحضارة في الغرب ألفًا من السنين، قبل أن تبدأ بالازدهار تدريجيًّا، مع أنها قد كانت لديها فرصة مناسبة لتبدأ قبل الحضارة العربية "أي: حضارة المسلمين" بقرنين أو ثلاثة.

وجاء فيه أيضًا قولها: "لقد أحاط العرب "أي: المسلمون" الكتب بقلوبهم، حتى المؤلفات الفنية الدقيقة في الهندسة والميكانيكا والطب والفلك والفلسفة. وكما تطلب الدولة المنتصرة من الدولة المنهزمة تسليم أسلحتها وسفنها الحربية،

شرطًا أساسيًّا لعقد الصلح، هكذا طلب "هارون الرشيد" بعد احتلاله لعمورية وأنقرة تسليم المخطوطات الإغريقية القديمة. وكما يستولي المنتصرون اليوم على المناجم، والصناعات الحربية الهامة، والأسلحة المدمرة مع مخترعيها، نرى "المأمون" بعد انتصاره على "ميخائيل الثالث" قيصر بيزنطية، يطالب بتسليم أعمال الفلاسفة القدماء، التي لم تتم ترجمتها بعد إلى العربية، ويعتبر ذلك بديلًا عن تعويضات الحرب. إنها أسلحة تساهم في بناء المجد. وما دام الأمراء العرب قد شغفوا بأوراق البردي والبرجامون نصف الممزقة، فإنه لم يكن هناك من طريق لكسب صداقتهم أنجح من إهدائهم بعض لفائف الكتب التي تراكم التراب فوقها. هذا ما فكر به قاطنو البوسفور، فأرسلوا إلى "عبد الرحمن الثالث" أمير الأندلس، حقيبة كبيرة –بغية توطيد الصداقة معه– وهذه الحقيبة ملأى بالمخطوطات القديمة، ومن بينها تعاليم الطب والعلاج لـ"ديسقوريدس Dioskurides" وكان ثمن بيع هذا الفكر القديم باهظًا، ولكن العرب "أي: المسلمين" كانوا على استعداد لدفع الثمن مهما كان. وأُرسلت البعثات الخاصة من بغداد، للبحث عن كنوز العلم، حاملة أكياسًا من النقود، إلى بيزنطية والهند؛ إذ قام المتعلمون من مختلف البلدان بدور السماسرة. وأصبح اقتناء المخطوطات التي لم تترجم حتى ذلك الحين هواية الأمراء، والوزراء، وسراة القوم. فضحوا بمبالغ طائلة من بلاد الإغريق وآسية الصغرى، وفي كل مكان وطئته أقدام الإغريق يومًا ما، عن طريق بعثات العلماء، أو عن طريق عملائهم الخاصين. أجل لقد دفعوا ثمنًا باهظًا وجدوه باقيًا من الآثار العلمية، وكان قد نجا من أعمال التخريب الفظيعة الشائنة. واستطاع العرب "أي: المسلمون" كذلك أن يكشفوا كثيرًا من الكنوز، ففي قبو مظلم تسكنه الفئران والعناكب في الإسكندرية، عثر القوم بين حجرين هائلين على كتاب في فنون الحرب، وعثروا على كتاب آخر في قدر مغلقة تحت جدران دير سوري. وفي آسيا الصغرى، وعلى مسير ثلاثة أيام من بيزنطية، عثر "محمد بن إسحاق" على مكتبة ضخمة في معبد قديم كبير، له باب لم ير من قبل بابًا حديديًّا في ضخامته. لقد أنشأ الإغريق هذا المعبد يوم كانوا يعبدون النجوم والأوثان، وقدموا فيه القرابين لآلهتهم. ويتحدث "محمد بن إسحاق" عن مجهوده في هذا السبيل، باعتباره مندوبًا عربيًّا في البلاط البيزنطي، فيقول: "لقد رجوت الحاكم أن يفتح لي هذا المعبد، ولكنه ماطل في ذلك؛ لأن أبواب هذا المعبد لم تفتح منذ انتحلوا المسيحية، ولكنني لم أكف عن إغرائه، فعاودته في مناسبات عدة، وطلبت إليه ذلك كتابة ومشافهة في جلسة من جلسات بلاطه التي اشتركت فيها. وأخيرًا وافق على فتحه، فرأيت في هذا المبنى المشيد بأحجار المرمر الفاخرة، رأيت على حوائطه من الكتابات والرسوم ما لم أر أفخم ولا أجمل منه، ومن المخطوطات القديمة شاهدت هناك ما يحمل جمالًا، إنها تقارب الألف كتاب، وكان جزء منها ممزقًا، وكان الجزء الآخر نصيبًا للديدان". إن ما قام به العرب "أي: المسلمون" لهو عمل إنقاذي له مغزاه في تاريخ العالم. إنها حضارة قد هوت وتحطمت، وكانت على وشك الفناء أمام أعين صانعيها الذين

صار لهم هدف آخر يسعون إليه، وهذا الهدف لا يمت لهذا العالم بصلة. فما بقي من هذه الحضارة يجب أن تشكر عليه البشرية اليوم العرب "أي: المسلمين" وحبهم للعلم، ولا يعود لبيزنطية فيه إلا فضل قليل"[29].

قال دكتور راغب السرجاني في كتابه "شهد شاهد من أهلها" ذكر فيها شهادات الغرب على حضارة المسلمين:

- في عهد ملك إسبانيا كارلوس الثالث في القرن الثامن عشر كانت معرفة اللغة العربية من مؤهلات ترقي الموظفين، ثم دار الزمان حتى أصبح بعضنا يستحي من العربية!
- وما كاد الإسلام يظهر حتى احترقت وثنيات العرب وجدليات النصارى وكل ما ليس بحق، فإنه حطب ميت أكلته نار الإسلام، ذهب والنار لم تذهب. (توماس كارليل: الأبطال)
- حق لنا أن نقول دون أن نتهم بالمغالاة: إن الكتب الإسلامية من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر أجمل ما رأته العين من الكتب في العالم كله. (ول ديورانت)
- العلم الإسلامي لم ينفصل عن الدين قط، بل كان الدين هو ملهمه وقوته الدافعة الرئيسة. (المستشرق روم لاندو)
- لقد ظل الإسلام خمسة قرون من عام ٧٠٠م إلى ١٢٠٠م يتزعم العالم كله في القوة والنظام وبسطة الملك وفي ارتفاع مستوى الحياة والتشريع الإنساني الرحيم والتسامح الديني والآداب والبحث العلمي والعلوم والطب والفلسفة. (ول ديورانت)
- كانت قرطبة في القرن العاشر محط إعجاب العالم ودهشته وكان السياح القادمون إليها من الشمال يسمعون بما هو أشبه بالخشوع والرهبة عن تلك المدينة. (براند جون)
- لا شك أن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يسم شريعة العرب قد طور ورقى مفاهيمنا العصرية وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقي على مر الدهور. (سانتيلانا)
- بدأ إنشاء المدارس في فرنسا في القرن العاشر وكان أشهرها (مدرسة ريمس) التي أنشأها البابا سلفستر الذي درس في جامعتي قرطبة والقرويين. (المستشرقون للعقيقي)
- القرآن لا يأمر المسلمين أن يتخلوا عن العقل ولم ينشأ في يوم من الأيام أي صراع بين البحث العلمي العقلاني وبين الدين في التراث الإسلامي. (كارين ارمسترونج)

(29) المرجع السابق، ص375-377.

- لقد جاء الإسلام على كل الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها، وحق له أن يبتلعها، لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة. (توماس كارليل في كتابه: الأبطال)
- كانت صقلية حين جلاء العرب عنها أرقى ثقافياً وصناعياً واجتماعياً منها حين دخلوها. كان للعرب تأثير عظيم في صقلية. (جوستاف لوبون)
- كان عند بعض الأمراء كالصاحب بن عباد من الكتب بقدر ما في دور الكتب الأوروبية مجتمعة. (ول ديورانت)
- ما وجدتُ ديناً أرقى من الإسلام في معاملته للإنسان بكل عناصره. (المستشرق الألماني بورج كرايمر)
- إن شهادة التوحيد فيها من الحيوية ما يقطع بضربة واحدة شجرةَ الوثنية. (روم لاندو: الإسلام والعرب)
- يقول أناتول فرانس عن معركة بواتيه التي هُزم فيها المسلمون: ليت شارل مارتل قُطعت يده ولم ينتصر على الغافقي؛ إن انتصاره أخّر المدنية عدة قرون.
- من خلال وساطة العلماء العرب اكتسب الغرب أرقامه الحديثة، وأعاد اكتشاف كتابات الإغريق، وتقدم في علم الفلك. (انتحار الغرب)
- لقد حرر محمد المرأة العربية، ومن أراد التحقق بعناية هذا النبي بالمرأة فليقرأ خطبته في مكة وليقرأ أحاديثه. (المستشرق الفرنسي اندريه سرفيه)
- لا يتحدث هذا النبي عن المرأة إلا في لطف وأدب، كان يجتهد دائماً في تحسين حالها ورفع مستوى حياتها. (اندريه سرفيه)
- منح الإسلام المرأة حقوقاً واسعة تفوق في جوهرها الحقوق التي منحناها للمرأة الفرنسية. (صحيفة المونيتور الفرنسية)
- احذفوا العرب من التاريخ، يتأخر عصر النهضة في أوروبا عدة قرون. (ليبرى)
- إن العرب هم في الواقع أساتذة أوروبا في جميع فروع العلم والمعرفة بأبحاثهم واكتشافاتهم. (سيديو)
- إن جامعات الغرب عاشت خمسمائة سنة تكتب للعرب خاصة، والمسلمون هم الذين مدّنوا أوربا في المادة والعقل والخلق. (جوستاف لوبون)
- لا يوجد جنس بشري يبلغ في الكرم ما يبلغه العربي، كرم يصدر عن نفس صادقة! (المستشرق بودلي)
- الحج أعظم شاهد على ديمقراطية الإسلام؛ فهناك يجتمع المسلمون الأوروبيون والآسيويون والافريقيون، والصعاليك والأمراء ويعاملون دون تمييز. (بودلي)

- يجب أن نقر بأن نصف بل أكثر من نصف الأدوية المعالجة للأمراض التي يستخدمها الغرب إنما جاءت عن العلماء المسلمين. (المستشرق الفرنسي فرناند بروديل)[30]

دور السنة النبوية في تنمية المهارات

السنة النبوية المشرفة منهج رباني بعث به النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه إلى البشرية، فمنطلقها هو الوحي، وهدفها هو إنشاء الواقع الأمثل للبشر. والأمم الحية تتنافس اليوم على كسب التقدم الحضاري، ومعلوم أن نمو الحضارات ورقي المجتمعات إنما يقاس على أساسٍ من التميز والإبداع، لفرض الذات للتأثير، ولتمكين القدرات للتغيير، ولا يتم ذلك إلا بأسلوب تقديم النموذج الأمثل والأجود إنساناً وعملاً وإدارة وسلوكاً.

والسنة النبوية هي الأقوم في هذا الميدان؛ فهي تحمل للإنسانية منظومة متكاملة في صناعة التميز والإبداع، بها بدأت، وبإلهاماتها ثبتت وترسخت، وبتوجيهاتها نضجت واكتملت، ما تركت مجالا من مجالات الحياة إلا وقد صبغته بصبغتها، ولا احتاجت إلى غيرها لإتمام تميزها.

فكيف نسهم بالسنة النبوية في تنمية المهارات، وشحذ القدرات، وإبراز الكفاءات، وترشيد القيادات في ضوء قيمة التميز الذي قدمته للبشرية؟ يمكن أن نجيب على هذا التساؤل بما يأتي:

1- إحياء القيم الحضارية في السنة النبوية، ومعالجة مشكلات الواقع في ضوئها.

2- بيان السبق الحضاري للسنة النبوية في مجال صناعة التميز وتنمية المهارات.

3- نشر ثقافة التميز وتنمية المهارات في المجتمع.

4- تنمية التفكير الإبداعي والمنهجي في التعامل مع نصوص السنة النبوية.

5- التوجيه إلى رعاية الموهوبين والمتميزين من أفراد الأمة.

وقد عنيت السنة المشرفة بالواقعية, والالتزام المهني والأخلاقي، والوسطية، والعدل والإنصاف والموضوعية، والفاعلية، والتكامل المعرفي والأدائي. أما التطبيقات النبوية في صناعة التميز وتنمية المهارات، فقد ظهرت جلياً في والتربية والتعليم، والدعوة والإعلام، الإدارة والقيادة، المال والأعمال، والأسرة والمجتمع. كما أنها عنيت بالمرأة كما عنيت بالرجل، لقد اهتمت بدور المرأة في صناعة التميز، ودورها في تنمية المهارات، ودورها في الإبداع، كما أنها عالجت جميع معوقات إبداع المرأة.

(30) http://twitmail.com/email/377779858/4/

تؤكد السنة النبوية على حاجتنا الماسة إلى التفكير بطريقة بديعة مبتكرة. وأن تسعى للحصول على أبكار الأفكار التي لم تُسبق إليها، وإن كان لا يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفكار كبيرة ومعقدة؛ بل المهم أن تكون لنا إضافاتنا التطويرية على ما انتهى إليه الناس.

وعند الحديث عن تأثر الأمة بالمنهج النبوي المبدع المبتكر يكون حديثنا عن القرن الثالث الهجري، العصر الذهبي للسنة النبوية (200هـ ـ 300هـ) هو القرن الذي شهدت فيه علوم كثيرة تحولاً عظيماً، على يد علماء عاشوا في هذا القرن، كانوا أئمة العلم والدين، وقدوة في ذلك للأجيال من بعدهم. فإذا خصصت علوم السنة بالحديث، فهذا العصر الذهبي له. الذي ما إن يذكر حتى تتمثل في المخيلات: صورة الآلاف المؤلفة من طلاب الحديث وهم يلتفون حول أحد أعيانه، وازدحام بلدان الإسلام وعواصمه بالمحدثين وهم رائحون غادون من مسجدٍ إلى منزل إلى ساحةٍ، من عالم إلى عالم، معهم المحابر والأقلام والورق. وأحسب لو نظرت إلى الصحارى وطرق المسافرين ومنازل السفر، لرأيت الأحمال تحط وترحل، والقوافل متتابعة من سمرقند وبخارى، إلى قرطبة وإشبيلية، ومن القوقاز إلى صنعاء وعدن، في حركةٍ دؤوب، وأموج تلو أمواج متتابعةٍ، تحكي عجائب الرحلة في طلب الحديث !

أما تدوين السنة، الذي يعتبر مقياساً لتطور علوم الحديث، فهذا العصر هو عصر أصول السنة وأمهات الدين، فهو عصر: مسند الإمام أحمد ، والكتب الستة الأصول. بما فيهما الصحيحان فهما قمة القمم، وأصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل، وهما إمام التأليف البشري: في شرف الغاية، وعمق الفكرة، وبعد النظرة، وعبقرية الخطة، وتفوق المنهج، وتكامل القدرات، وبذل الجهد، واسترخاص الدنيا، وروعة الأسلوب، وإتقان التنفيذ ...

بل هذا عصر أصول السنة، من مسانيد، وجوامع، وصحاح، وسنن، ومعاجم، وعلل، وتواريخ ، وأجزاء، وغير ذلك: من وجوه التصنيف الأصلية في السنة، ومن المصنفات التي لا يحويها حصر، ولا يبلغها عد، فهي تكاد تكون بعدد الألوف المؤلفة، من طلبة الحديث، وحفاظه، والرحالين فيه، ممن حواهم هذا القرن، بل تفوق عددهم؛ لأنه لا يخلو أن يكون لبعض منهم أكثر من مؤلف ، بل ربما عشرات المؤلفات.

كيفية عودة المسلمين إلى الصدارة

إن الوسيلة الوحيدة لذلك هي التمسك بالإسلام والعض عليه بالنواجذ ، يقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– : "إنكم كنتم أول الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله"[31]. وسوف

(31) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، 1407 هـ – 1986 م البداية .

يهدينا الإسلام ويقودنا إلى الصدارة لنحمل مشعل الحضارة ونقود العالم إلى حياة أفضل تنيرها شريعة الله، على أنه توجد خطوات يجب على القادر أن ينفذها لنصل إلى هذه النتيجة.

1 - الحكم بشريعة الإسلام في شتى ميادين الحياة في سائر العالم الإسلامي .

2 - غرس الإيمان وعقيدة الإسلام في نفوس الناس ، وخصوصاً الشباب عن طريق التركيز على مواد التربية الإسلامية في المدارس والمعاهد والجامعات ، وتذكيرهم بأمجاد آبائهم عن طريق جميع وسائل الإعلام .

3 - الإصلاح الإجتماعي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لنخلص الشباب من التناقض الذي يعيشونه بين مثاليات المدرسة وواقع الحياة .

4- تطوير مقررات السنة النبوية وعلومها في المؤسسات التعليمية بما يحقق تنمية المهارات المتنوعة لدى الطلبة.

4 - تشجيع العلماء وتكريمهم والإنفاق عليهم وتسهيل القيام بمهتهم في عالمهم الإسلامي .

5 - منع هجرة العقول إلى الدول الغربية بعد تهيئة الجو المناسب لهم .

6 - اجتذاب العلماء المهاجرين بالتشجيع المادي والمغري وتوفير الاستقرار المادي والمعنوي لهم، واجتلاب العلوم الحديثة معهم، وكلنا نعلم أن أمريكا ما قامت صناعتها وتقدمها إلا بسبب تشجيعها الهجرة إليها من قبل هؤلاء العلماء والمنكرين ، وهم من خارج أرضها .

7 - عدم ابتعاث الطلبة بدون حساب وبحيث لا يبتعث إلا من يتأكد من صلاحه، وتقواه واخلاصه في طلب العلم وبعد نضجه من حيث السن .

8 - الترجمة إلى اللغة العربية التي أثبتت قدرتها على استيعاب المصطلحات العلمية، والتخلص من الألفاظ الأجنبية الدخيلة، ثم تعريب المناهج الجامعية، والحرص على تدريس العلوم التجريبية باللغة العربية[32].

والنهاية،بيروت: دار الفكر، جـ 7 ص 60

(32) د/ فهد العصيمي، فضل الإسلام والمسلمين في التقدم العلمي، ص41

المراجع والمصادر

1- القرآن الكريم

2- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)في "الأدب المفرد"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت،الطبعة: الثالثة، 1409 - 1989

3- الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ، 1998م في " الجامع الكبير – سنن الترمذي " تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

4- جلال مظهر، 1967م، أثر العرب في الحضارة الأوروبية" نهاية عصور الظلام و تأسيس الحضارة الحديثة"، بيروت، منشورات الرائد

5- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجِسْتاني، سنن أبي داود: تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

6- زيغريد هونكه"،1993،شمس العرب تسطع على الغرب"أثر الحضارة العربية في أوربة، نقل فاروق بيضون و كمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري،بيروت:دار الجيل،بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط8

7- عباس محمود العقاد 2002 م، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، مصر: دار نهضة مصر، إشراف د/ سمير سرحان، طبعة خاصة ضمن مشروع مكتبة الأسرة.

8- د/ عماد الدين خليل،1412هـ، 1992م، قالوا عن الإسلام ،الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط1

9- د/ فهد العصيمي، فضل الإسلام والمسلمين في التقدم العلمي

10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، 1407 هـ - 1986 م البداية والنهاية،بيروت: دار الفكر

11- د/ مسلم شلتوت، الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى والتحدي المعاصر

12- http://twitmail.com/email/377779858/4/